

الأسس الفلسفية لمفهوم الجنوسية

د/ قاسم المحبشي، أستاذ مساعد / كلية الآداب

يعد خطاب المرأة، من أهم الخطابات التي شغلت الدوائر الثقافية والفكرية والإعلامية والأكادémie والسياسية المعاصرة في المجتمعات الأورو-أمريكية تحديداً وفي مختلف البلدان والشعوب في العالم جمع.

وقد أرتبط ذلك الخطاب منذ اللحظة الأولى لميلاده في قلب مشروع الحداثة الأوروبية المظفرة منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى اليوم بسلسلة متتابعة من المفاهيم والمصطلحات والرموز والأفكار، والنظريات والتصورات التي منها .. الجندر، والجنوسية، والنوع الاجتماعي، والأنوثة، والحركة النسوية والأدب النسوي، وحقوق المرأة، تحرير المرأة، تمكين المرأة، مشاركة المرأة، الهوية الأنوثية، الجنسانية، تنظيم النسل، البيمنة الذكورية، البطريكيّة، ومفهوم القمع .. الخ.

وخطاب المرأة لم يعد يقتصر على الدلالة اللغوية المفهومية، بل اخذ يتجسد في جملة واسعة من الممارسات والمستويات التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والمعروفة والأخلاقية والجمالية، والحقوقية. ففي كل مجالات وانساق الحياة المعاصرة أصبح للمرأة وقضاياها قوياً وفعلاً فعلى صعيد المعرفة العلمية على سبيل المثال، أصبحت المرأة لأول مرة في تاريخها ذاتاً و موضوعاً للعلم منفلتاً وفاعلاً فيه، إذ ظهرت هناك عدد من العلوم الاجتماعية والإنسانية الخاصة بالمرأة مثل: علم نفس المرأة، علم اجتماع المرأة، علم انتربولوجيا المرأة، علم اقتصاد المرأة، علم نفس الأسرة وعلم اجتماع الأسرة، وعلم الخدمة الاجتماعية والمرأة، وأنوثة الفقر، الفلسفة النسوية، والأدب النسوي، وتاريخ النساء، وأنوثة العلم أو استمولوجيا جديدة، بل أصبح للمرأة كليات جامعية ومراكمز بحثية، وأقسام علمية وفي مجال والتربية والتعليم والطب يفتح المشهد النسوبي على مجالات ومتخصصات واسعة ومتعددة إذ بعد الطبع النسوي، المتصل بمراكمز تنظيم الحمل وأمراض النساء الولادة وأدواء التجميل من المجالات الخصبة في اقتصاد العالم المعاصر. وأصبح العالم اليوم يتحدث عن العالماط والأدبيات من النساء الحائزات على جائزة نوبل. ورغم أن الاهتمام بالمرأة من حيث هي إنسان جديد بالاعتبار يعود إلى عصر التوبيخ الحديث في القرن الثامن عشر فان الثورة الحقيقة للخطاب النسوبي المعاصر، بدأت منذ سبعينيات القرن الماضي، إذ أن الوقيـد الانفعالي الذي أخذ يشتعل بشأن المرأة وقضاياها في الرابع الأخير من القرن العشرين بدأ معه الأمر وكأن العالم قد اكتشف لتوه وفجأةً هذا الكائن الطيفي الجميل الخصيـب المبدع الأنيـس القـرـيبـ، السـاحـرـ، الفـقـانـ، الكـانـ إـنـسـانـيـ جـداـ الكـانـ الخـفـيفـ "الـذـي لا تـحـتـمـلـ خـفـقـهـ" حـسـبـ مـيـلـانـ كـونـديـراـ.

هـكـذا بـداـ الـأـمـرـ وـكـأـنـاـ باـزـاءـ اـكـتـشـافـ كـانـ إـنـسـانـيـ جـدـيدـ، وـكـأـنـ الـمـرـأـةـ لـمـ تـكـنـ هـيـ ذـكـاـنـ الـذـيـ صـاحـبـ أـبـوـنـاـ اـدـمـ مـذـ فـجـرـ الـحـيـاةـ إـنـسـانـيـةـ وـعـاشـتـ مـعـهـ فـيـ كـلـ زـمـانـ وـمـكـانـ، مـذـ اـكـتـشـافـ الـمـرـأـةـ الـمـعـاصـرـ بـدـأـتـ تـشـعـ مـنـ الـعـيـونـ نـظـرـةـ جـدـيدـةـ مـخـتـلـفـةـ كـلـيـاـ عـنـ سـابـقـهـاـ نـوـهـاـ. عـلـىـ الـأـقـلـ فـيـ الـغـرـبـ.

هـكـذا ظـهـرـتـ الـمـرـأـةـ وـكـأـنـاـ اـبـرـزـ اـكـتـشـافـ لـلـعـالـمـ الـمـعـاصـرـ. وـبـسـبـبـ ماـ يـشـهـدـهـ الـعـالـمـ الـمـعـاصـرـ مـنـ عـولـمـةـ وـلـتـيـ تعـنـيـ انـكـماـشـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ وـالـتـفـاعـلـ وـالـتـوـاـصـلـ وـالـاحـتكـاكـ وـالتـأـثـيرـ وـالتـأـثـيرـ بـيـنـ الشـعـوبـ وـالـقـافـاتـ وـالـدـوـلـ وـالـمـجـتمـعـاتـ سـرـعـانـ ماـ شـاعـ خـطـابـ الـمـرـأـةـ وـمـفـاهـيمـ الـإـنـثـيـةـ إـلـيـناـ مـنـ بـلـادـ الـشـمـالـ فـيـ مـخـتـلـفـ جـهـاتـ الـأـرـضـ، وـقـدـ كـانـ عـلـيـنـاـ نـحـنـ الـقـاطـنـوـنـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـمـتوـسـطـةـ مـنـ الـأـرـضـ أـنـ تـنـتـأـرـ وـنـتـقـاعـلـ مـعـ كـلـ مـاـ تـأـتـيـ بـهـ رـيـاضـ الـعـولـمـةـ، الـعـاصـفـةـ، وـقـدـ أـخـذـنـاـ تـنـتـلـفـ ذـلـكـ الـخـطـابـ بـمـاـ يـحـمـلـهـ مـنـ مـفـاهـيمـ وـاصـطـلـاحـاتـ وـرـمـوزـ وـدـلـالـاتـ وـتـرـجـمـتهاـ إـلـىـ لـغـتـاـ الـعـرـبـيـةـ بـدـوـنـ أـنـ نـكـونـ عـلـىـ وـعـيـ عـمـيقـ بـمـعـانـيـهـ الـتـيـ تـشـكـلـتـ فـيـ سـيـاقـاتـ تـارـيـخـيـةـ مـخـتـلـفـةـ، مـحاـولـيـنـ إـنشـاءـ خـطـابـنـاـ الـعـرـبـيـ فـيـ الـمـرـأـةـ وـقـضـيـاـهـاـ.

وـالـسـؤـالـ هـاـ هـوـ كـيـفـ يـمـكـنـ لـنـاـ فـضـ وـتـفـكـيـكـ الـبـنـيـةـ الـمـفـهـومـيـةـ لـخـطـابـ الـجـنـوـسـيـةـ الـمـعـاصـرـةـ هـذـاـ مـاـ سـيـكـونـ محـطـ اـهـتـمـامـاـ فـيـ هـذـهـ الـوـرـقـةـ الـبـحـثـيـةـ، إـذـ سـيـكـونـ عـلـيـنـاـ تـحـدـيدـ وـتـعـرـيفـ الـمـفـاهـيمـ الـأـسـاسـيـةـ فـيـ خـطـابـ الـجـنـوـسـيـةـ وـالـتـعـرـفـ عـلـىـ أـسـسـهـاـ الـفـلـسـفـيـةـ الـتـيـ شـكـلتـ الـخـافـيـةـ الـقـافـيـةـ الـسـيـاقـ الـتـارـيـخـيـ لـنـمـوـهـاـ وـازـدـهـارـهـاـ فـيـ بـيـئـةـ صـنـاعـيـةـ مـغـاـبـرـةـ، أـورـبـيـةـ حـدـاثـيـةـ عـلـمـانـيـةـ، وـكـيـفـ يـمـكـنـ لـنـاـ اـسـتـعـمـالـهـاـ فـيـ بـيـئـةـ ثـقـافـيـةـ مـاـ قـبـلـ حـدـاثـيـةـ، عـرـبـيـةـ إـسـلـامـيـةـ، لـازـلتـ تـهـيـمـ فـيـهـاـ الـنـظـرـةـ الـجـاهـلـيـةـ وـالـلـاهـوتـيـةـ الـقـلـيـدـيـةـ الـذـكـوريـةـ إـلـىـ الـمـرـأـةـ مـنـ حـيـثـ هـيـ عـوـرـةـ يـجـبـ أـنـ تـخـفـيـ عـنـ الـأـنـظـارـ؟ـ؟ـ